قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية

مجلة التميز

الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/673

الأعمال الموسُوعيّة بالوطن العربي في ميزان البحث
-دراسة وصفيّة تحليليّة لنماذج متميزة-

Encyclopedic works in the Arab world in the balance of research
- An analytical descriptive study of distinct models -

د. محمد سيف الإسلام بوفلاقة

كلية الآداب، جامعة عنابة،الجزائر ،saifalislamsaad@yahoo.fr

معلومات المقال

تاريخ المقال:

*الإرسال:*26-12-2020م

المراجعة:

القبول: 18-02-2021

الكلمات المفتاحية:

الأعمال

الموسوعة

معالجة

نماذج

العربي

.....

ملخص

ملخص البحث:

يجتهد هذا البحث الموسوم ب:«الأعمال الموسوعية بالوطن العربي في ميزان البحث»،في تقديم مقاربة تحليلية دقيقة لمجموعة من الأعمال الموسوعية في الوطن العربي ، وقد دفع الباحث إلى دراسة هذا الموضوع ، وتسليط الضوء عليه أسباب مختلفة ، ومتعددة، من بينها ما لاحظه من أعمال موسوعية علمية جادة، ومتميزة في الوطن العربي ، ولذلك فهو يتوقف مع بعضها بالعرض ،والدراسة، والتحليل ، والتقييم، ويُنبه إلى سماتها، و منهجيتها، وخصائصها، وطرائقها في الطرح والمعالجة،كما يُبرز مدى جديّتها، وتميُّزها، ويُوضح الإضافات التي قدمتها.

وقد انتهج البحث منهجاً وصفيا تحليلياً، يسعى إلى التقييم، و الملاحظة ،و في ختامه قدمنا مجموعة من الملاحظات.

Keywords

: business .....

Encyclopedia

Treatment

, models

, Arabic

Abstract

This research entitled: “An analytical and descriptive study of successful models of encyclopedic works in the Arab world” strives to provide an accurate analytical approach to a group of encyclopedic works in the Arab world. The researcher has been prompted to study this topic and shed light on it for various reasons, from Among them are what he noticed of serious and distinctive scientific encyclopedic works in the Arab world, and therefore he pauses with some of them by presenting, studying, analyzing, and evaluating, and alerting them to their features, methodology, characteristics, methods of presentation and treatment, as well as the extent of their seriousness, and their distinction, and explains the additions Provided by.

The research adopted a descriptive and analytical approach, which seeks to evaluate, and observe, and at the end we presented a set of observations.

* المؤلف المرسل: د.محمد سيف الإسلام بوفلاقة

saifalislamsaad@yahoo.fr

توطئة:

إن التقدم الهائل في وسائل البحث العلمي ،والتَّطور الملحوظ في شتى وسائل النشر أبان عن جوانب متعددة من أشكال النقص والقصور في إنجاز الأعمال الموسُوعيّة، ممّا يدعو إلى التأكيد على أنه بات من الضروري إعادة النظر في كثير من القضايا التي تتصل بهذه الأعمال، التي تحتاج إلى استثمار التّقنيات الحديثة،ومعاودة النَّظر في جملة من القضايا من أجل سدِّ الثغرات،ومما لا يشوبه أدنى شك أن البحث العلمي في منهجيات الأعمال الموسوعيّة يُمثل في عصرنا هذا ميداناً فسيحاً ومجالاً واسعاً ومُهماً،بسبب الأهمية القصوى التي تحتلها الأعمال الموسُوعيّة التي تقتضي الجمع بين معارف عديدة وتخصصات متنوعة، وتفرض الإحاطة بعلوم متداخلة مع بعضها،كما أنها تستوجب التطوير الدائم حتى تكون مُنسجمة مع متطلبات العصر،وإذا أراد المرء أن يُدرك مدى عظمة شعب من الشعوب،أو أمة من الأمم،فما عليه إلا أن يتأمل أعمالها الموسُوعية،ويتمعن في دوائر معارفها، ونتاجها المُعجمي،ومُدوناتها الكبرى،فمن خلال التبصر في الأعمال الموسوعيّة نعرف مختلف الاهتمامات العلمية والقضايا المعرفية والثقافية.

أولاً:الأعمال الموسُوعية:تحديدات مصطلحية وإشكالات معرفية:

يستدعي منا البحث في هذا الموضوع تحديد بعض المفاهيم المفاتيح مثل:الموسوعة والمُعجم والذخيرة،وكذلك محاولة تبيين بعض الإشكالات المعرفية التي تتصل بمنهجيات العمل الموسوعي،فبالنسبة إلى دلالات مصطلح(الموسوعة) ،فقد تعددت المفاهيم،وتنوعت التعريفات المتصلة بهذا الشأن،بيد أن الإجماع يقع على احتوائها على كثير من المعلومات العامة التي تتصل بموضوعات المعرفة الإنسانية،أو أنها تكون متخصصة في مجال محدد،أو موضوع معين، وكثيراً ما يقع إلحاق مصطلح الموسوعة بدائرة المعارف، التي هي كتاب ضخم تعالج فيه موضوعات مختلفة ومتنوعة في الأدب، والفَنّ،والعلم، والتّاريخ، والجُغرافيّة،وسواها من المعارف، وشتى المهارات الإنسانية،كما تتضمّن عادة المحصّلات التي انتهى إليها العلماء في كلّ باب من الأبواب، وهي تُنسَّق حسب أسلوب منهجي،وخطة مُفصلة،كما توصف كذلك(الموسُوعة)بأنها كتاب يُفصِّل كُليّات علم،أو فنّ، وجزئيّاته،وتُرتّب موادّه حسب تقارب الموضوعات المُعالجة، وتداخلها،أو وفقاً لتسلسلها الأبجديّ،بحيث يسهل الوصول إليها على أيسر سبيل، ويظلّ الهدف المنشود من تأليف مثل هذه المصنفات الضخمة هو تسجيل المدى الذي بلغته ثقافة شعب من الشُّعوب،أو الإنسانية كلّها،ووضعها بين أيدي الدّارسين،فتكون وسيلة فعّالة في نشر المعرفة وترقية المجتمع . ونُلفي في بعض المعاجم أن الموسوعة تتفق في دلالاتها مع دائرة المعارف،والمعلمة،إذ نجد في(مُعجم المصطلحات العربية في اللُّغة والأدب) أن الموسوعة ودائرة المعارف ،والمعلمة هي مؤلف يتضمن بياناً عن كل فروع المعرفة، وتُرتَّب موادُّه عادة ترتيباً هجائياً، وهي مؤلف يتضمن كل ما وصلت إليه المعرفة عند نشره في فن أو علم معيَّن[1].ويذهب صاحب(المُعجم المُفصل في الأدب)إلى أن الموسوعة و الوسيعة ودائرة المعارف كلُّها بمعنى واحد،وهي مصطلح معاصر وحديث مولَّد لم تذكره معاجمنا القديمة.وقد استخدمه المحدثون بمعنى كلِّ كتابٍ واسعٍ شاملٍ لأطراف العلوم وأجزائها،وأغلب ما يلزم من معلومات وتعريفات.وهي نوعان: الأول هو الموسوعة العامة،والتي تضم قدراً كبيراً من شتى المعارف المختلفة بما يكفلُ للقارئ، أو الباحث إلماماً جامعاً بمختلف ضروب المعرفة من غير توسع،وبالنظر

إلى تميزها بتنوع معارفها، وتعدد علومها لزم أن يشترك بتأليفها فئة من العُلماء.والثاني هو الموسُوعةُ الخاصَّة،وهي تضمُّ معلومات في دائرة الاختصاص المحددة لها،مع شيء من التوسع في مجالات قريبة منها،مثل:الموسوعة في الطب،والموسوعة في الأدب[2].ونلاحظ وجود عدة مصطلحات متداخلة تندرج تحت لواء الأعمال الموسُوعية مثل: (المُعجم الموسوعي)،و(القاموس الموسوعي)،غير أننا نجد من يسعى إلى تحديد مصطلح(الموسوعة) تحديداً دقيقاً فيُقرر أن إطلاق هذا المصطلح لا يتم إلا بتوفر مجموعة من الشروط،لعل أبرزها أن الموسوعة عمل جماعي، وتقتضي وجود فريق وكل فريق ينهض بإنجاز قسم من الأقسام،وهي تتسم بضخامتها ولها حجم متميّز وكبير جداً عن المعاجم والقواميس،ولا تنهض بمهمة إنجازها إلا المؤسسات،كما أنها عمل دائم،ويأخذ عمل الأجيال السابقة واللاحقة، فهي مفتوحة دائماً ومُستمرة،وقابلة للإضافة والتوسيع في كُل مرحلة من المراحل تبعاً للمُستجدات، ومن شروطها كذلك الشُمول والاتّساع،وهي عمل ثقافي وحضاري،ولا تستهدف فئة ضيقة[3]. ومن أبرز أشكال الأعمال الموسوعية المعاجم الموسوعية ،وهي التي تحمل صفات المعجم، وصفات الموسوعة،حيث إنها تأخذ من المعجم الترتيب الهجائي للمادة،وتأخذ من الموسوعة الاستفاضة والمتابعة التاريخية من مختلف الجوانب،وهناك تصنيفات متعددة للمعاجم المشهورة،ويُقصد بالتصنيف النوعي للمعاجم تقسيمها إلى مجموعات تشتمل كل مجموعة منها على خصائص ذاتية مشتركة،بحيث تشكل نوعاً معرفياً مُتميزاً يتباين عن غيره من الأنواع المُنتمية إلى جنس المعاجم،والتصنيف في المعاجم والأعمال الموسوعية بصورة عامة خطوة من خطوات البحث العلمي،حيث إن الباحث يجمع عادة مادته،ويقوم بتحليلها، ويُصنفها على أساس مُعين،ويُلاحظ مميزات كل صنف، ثم يصوغ ملاحظاته على شكل قاعدة علمية أو قانون يتسم بالعمومية، وينطبق على جميع أفراد الصنف،كما يشتمل على المبادئ القبلية التي تُتخذ أساساً لمعرفة سلوك أفراد ذلك الصنف في المستقبل تحت ظروف معينة وشروط محددة.ولتصنيف المعاجم فائدتان رئيستان:أولاهما،مساعدة القارئ على انتقاء المُعجم الذي يُلبي احتياجاته، ويستجيب لمطالبه، ويُحقق الغرض من اقتنائه،وثانيهما،مساعدة المكتبة على فهرسة المعجم ووضعه في المكان المناسب له،بحيث يسهل العثور عليه عند الحاجة، ولا ريب في أن تكاثر أنواع المعاجم في العصر الحديث جعل من الضروري إيجاد تصنيف لها،غير أن اختلاف رؤى الباحثين الذين تصدوا لمهمة تصنيف المعاجم،أدى إلى ظهور تصنيفات عديدة للمعاجم،فقد نشرت الأكاديمية السوفيتية تصنيف اللغوي الروسي(ششربا)سنة:1940م،وقد انتهى في جهوده إلى تحديد ستة أنواع متقابلة من المعاجم هي: المعجم المعياري والمعجم الوصفي، والموسوعة والمعجم، والمعجم الاعتيادي والفهرس الأبجدي العام، والمعجم الاعتيادي ومعجم الأفكار أو المعاني،ومعجم التعريفات(الأحادي اللغة)،ومعجم الترجمات(الثنائي اللغة)،والمعجم التاريخي،والمعجم غير التاريخي(التزامني)[4].وقد كثر تصنيف الأعمال الموسوعية بشكل فردي في ثقافتنا العربية المعاصرة،فوجدنا عشرات الموسوعات المتخصصة في ميدان معين،ونود أن نستشهد في هذا الصدد بالمنهج الذي ارتضاه(أحمد الشرقاوي) إقبال في ميدان تصنيف المعاجم،في كتابه المخطوط الذي أشار إليه الأستاذ(عباس أرحيلة)، وهو موسوم ب: (درجات العقل ودركاته في المُعجم العربي)، حيث ذكر

أنه ارتضى لكتابه أن يتتبع الألفاظ الدالة على العقل والحمق في المعجم العربي،ويرتبها ترتيباً مُعجمياً،وأن يشرحها ويُحللها ويعرض لمعانيها المختلفة في المُعجم العربي، وأن يُقارن بينها،ويُحدِّد الفروق الدقيقة بين معانيها،ويُرتب هذه المعاني فتعلو وتسفل تبعاً لمعنى اللفظ من الدرجات أو الدركات،كما يتولى البحث عن استعمالات كل لفظ في القرآن الكريم والحديث النبوي،وتندرج هذه الرؤى المتميزة التي تبناها الشرقاوي في إطار ما يُسميه علماء اللُّغة دراسة دلالة الألفاظ أو معاني المفردات، والعلاقة بين هذه الدلالات والمعاني المُختلفة، والتطور الدلالي، كما يدخل هذا العمل ضمن مبحث الترادف في اللغة، وضمن بحث الفروق في اللغة، وينصرف كذلك إلى ما يُسميه أهل اللُّغة في العصر الحديث بمجال الحُقول الدلالية[5].

وتعد(الذخيرة)من أبرز أشكال الأعمال الموسوعية الحديثة، وهي بمفهومها المُعاصر بنك معلومات آلي،حيث إن الهدف الرئيس لمشروع الذخيرة هو أن يمكن الباحث العربي أياً كان،وأينما كان من الحصول والعثور على معلومات شتى من واقع استعمال اللغة العربية بطريقة آلية، وبكيفية تتم في وقت وجيز، وهذا الأمر-كما يرى العلاّمة عبد الرحمن الحاج صالح- في منهجه، على سبيل المثال، سيتحقق عن طريق إنجاز بنك آلي للغة العربية المستعملة بالفعل،و يتضمن أمهات الكتب التراثية الأدبية والعلمية والتقنية، وغيرها، ويشتمل على الإنتاج الفكري العربي المعاصر في أبرز صوره،بالإضافة إلى عدد كبير من الخطابات والمحاورات العفوية بالفصحى في مختلف الميادين،ولذلك فهو بنك نصوص لا بنك مفردات،ثم إن هذه النصوص تمثل الاستعمال الحقيقي للغة العربية،فليست نصوصاً يصطنعها المؤلفون،بل نصوص من اللغة الحية الفصحى المُحررة أو المنطوقة،وأهم شيء في ذلك هو أن يظل هذا الاستعمال الذي سيخزن بشكل النص كما ورد وجاء ،في ذاكرة الحواسيب هو استعمال العربية طوال خمسة عشر قرناً في أروع صوره،ثم هو يُغطي الوطن العربي أجمعه في خير ما يُمثله من هذا الإنتاج الفكري[6].وبالنظر إلى ارتباط الأعمال الموسوعية الضخمة بتخصصات متعددة،فطرائق البحث تتعدد لدى إنجازها ،وقد لاحظ ثلة من العلماء في جل الأعمال الموسوعية العالمية مثل:الموسوعة البريطانية أن المنهج الذي كثيراً ما يطفو على السطح ويطغى ويتم توظيفه بشكل كبير هو المنهج التاريخي الذي ينهض على تجميع المعلومات التي تتعلق بالأحداث المُنصرمة ،والحقائق الماضية، وفحصها ونقدها وتحليلها،والتأكد من صحتها،والحق أن الكتابة التاريخية والموسُوعيّة هي عملية متجددة ينهض بممارستها كل جيل وفقاً للمؤهلات والقدرات والظروف العلمية والتقنية التي وصل إليها،ويؤثر في هذه العملية مدى توفر الوثائق لديه،والمُستجدات الحضارية التي تُحيط به،وتخضع عملية الكتابة الموسُوعية لما عليه الجيل من ثقافة ووثائق وإبداعات حضارية.فإذا كان الجيل المدون للتاريخ والتراث مثقفاً ثقافة عميقة وجيّدة،فإنتاجه سيكون مرآة لثقافته وقدراته العقلية و صورة عن المرحلة الحضارية التي وصل إليها،وكل جيل يسعى إلى تفسير الوثائق المتوفرة تفسيراً جديداً بناء على المستجدات والمعطيات الحديثة والرؤى الجديدة،وهذا معنى التجدد في الكتابة التاريخية[7]والموسوعية،والتي تفرض في بلادنا الجزائر، على سبيل المثال، العمل من أجل تحرير ماضينا من كل الاستنتاجات الخاطئة والأحكام المُتحيزة والنزعات المريضة، وإبعاد كل تناول دعائي أو عامي يتسم بالسطحية، بالنسبة إلى التاريخ الجزائري الذي يتم إدراجه في الأعمال الموسُوعية

الضخمة،ولابد كذلك من المُساهمة في بعث تصور تاريخي يكون تجديداً لذاكرة الأمة الجزائرية في إطارها العربي وبُعدها الإسلامي،إذ ينبغي أن يتم الاعتماد على النقد والخضوع للموضوعية، والتماشي مع واقع الجزائر المُعاصر بكل أبعاده ومُعطياته،وذلك لكون التاريخ من أبرز الوسائل وأكثرها فعالية في إحياء ذاكرة الأمة وجعلها تستوعب التجارب السابقة،وتفهم بعُمق الأحداث الماضية،فتتجاوز السلبيات، وتنتفع بالإيجابيات،وهذا يقتضي العمل بجدية على بعث مدرسة تاريخية جزائرية شكلاً ومضموناً، تتجاوز الطابع الكلاسيكي والروائي للتاريخ، وتركز بشكل كبير على الميادين الحيوية،وتتأمل في الجوانب الحضارية الجزائرية، وتبتعد كل البعد عن التأثيرات الخارجية[8].

ومن المُفيد أن نشير إلى أن الأعمال الموسُوعيّة تعد من أهم ما يُسهم في تعزيز وصناعة المحتوى الثقافي الجزائري والعربي رقمياً،فصناعة وتقوية المُحتوى الرقمي الثقافي العربي في شتى المجالات،أضحى ضرورة في مختلف الجوانب، فالمحتوى هو الملك على حد تعبير الباحث(نبيل علي)، حيث إنه أضحى المُحرك الرئيس لاقتصاد المعرفة، وهو الذي يُوفر «معظم الوسائل الخاصة بزيادة إنتاجية عمالة المصانع، والمكاتب،والفصول، وصناعة الثقافة، ومن ثم،صناعة المحتوى الثقافي،الذي هو من أهم صناعات اقتصاد المعرفة،ومن أكثر تطبيقات المعلوماتية عائداً،وإن كان التركيز قد انصب حتى الآن على إرساء البنى التحتية الأساسية لمجتمع المعرفة،فقد أيقن الجميع أن المحتوى هو التحدي الحقيقي،فهو أهم مقومات هذا المجتمع بلا منازع»[9].ويتسم المحتوى الثقافي العربي بعدة خصائص تُميزه عن غيره،منها[10]:وفرة مصادر المعلومات،وشدة تنوعها، وتنوع فئات المستفيدين من حيث السن،ومستوى التعليم،واختلاف غايات البحث عن المعلومات الثقافية، وحاجة المعلومات الثقافية إلى طرحها في سياق حضاري أشمل، حتى تظهر جوانبه المعرفية،والإنسانية.

ثانياً: دراسة وصفيّة تحليليّة لنماذج ناجحة من الأعمال الموسُوعيّة في الوطن العربي: 1-أعمال موسوعية خاصة بمجال مُحدد(موسُوعة الطفل أنموذجاً):

تنصرف هذه الموسوعة التي أنجزها الباحث العراقي الدكتور(جاسم محمد جندل)إلى الموسوعات العلمية التي تختص بمجال معرفي واحد،وقد صدرت في طبعة أنيقة عن واحدة من أهم المؤسسات العلمية في الوطن العربي،وهي مؤسسة دار الكتب العلمية العريقة في لبنان،وهي تقترب من الجوانب الطبية أكثر من اقترابها إلى المجالات الاجتماعية والنفسية الخاصة بعالم الطفل،وتعد هذه الموسوعة من أبرز الموسوعات التي حققت نجاحاً باهراً على مستوى القراءة والانتشار، وصاحبها ليس غريباً على ميادين البحث العلمي، فقد أنجز عدة أعمال علمية نفيسة من بينها: (موسوعة المرأة)،و(صحتنا في غذائنا)،و(السرطان:أسبابه وأنواعه وعلاجه)،وغيرها،وقد أوضح المؤلف أهدافه من إنجاز هذه الموسوعة بالإشارة إلى أنه توخى فيها الروح العلمية وابتعد عن الكتابة الإنشائية المُجمّلة، لتحقيق جملة من الغايات والأهداف،ومن أبرزها الحصول على إجابات وتساؤلات طبيعية تتعلق بالطفل،وما يتعرض له في حياته وفي البيئة التي يعيش فيها،ويشرح مراحل نمو الطفل،والتغيرات التي تحدث في كل مرحلة ،كما يتوقف بالشرح والتحليل مع الأمراض التي يتعرض لها والمشاكل النفسية والاضطرابات السلوكية التي تعترضه[11]، إضافة إلى أخطاء النطق ،وغيرها من القضايا التي لا يُمكن أن يتجاوزها كل مهتم بعالم

الطفل،حيث تحدث في الفصل الأول باستفاضة عن الأمومة والطفولة،وقدم إضاءات وافية عن مختلف أشكال النمو ،ومن أهمها: النمو الجسدي، والنمو الحركي،والنمو العقلي،والنمو الاجتماعي والنفسي،والانفعالي والحسي،وفي الفصل الثاني توقف مع المراحل المهمة في حياة الطفل،وقدم شرحاً تفصيلياً لكل مرحلة من المراحل، وهي كما قسمها في الموسوعة: مرحلة الفطام،ومرحلة التسنن، ومرحلة النطق،ومرحلة المشي والحركة، ومرحلة الوقوف،ومرحلة الرؤية،ومرحلة التبول والإبراز، ومرحلة البكاء،ومرحلة مص الأصابع،كما قدم مُعالجة علمية لشتى القضايا المتصلة بنوم الأطفال والصراخ، وكرس الفصل الثالث من الموسوعة للحديث عن أنواع الأطفال، حيث حلل في كل قسم من أقسام الموسوعة نوعاً محدداً مثل: الطفل العصابي،والطفل الذكي، والطفل المتعب، والطفل المضطرب، والطفل الصعب،والطفل الخجول،والطفل الموهوب،والطفل المتخلف عقلياً، والطفل المعاق،والطفل العدواني،والطفل الفوضوي،والطفل الغيور، والطفل المبتسم وغيرهم.وقد خصص الفصل الرابع من الموسوعة لتقديم دراسة تحليلية لنظريات تفسير اللعب،في حين جعل الفصل الخامس منها لمُعالجة قضايا ثقافة الأطفال ،ومن أبرز القضايا التي توقف معها في هذا القسم أدب الأطفال الذي يكتسي أهمية بالغة، وهو موضوع مُتجدد ،ويحتاج إلى إثرائه بالرؤى والأفكار من مرحلة إلى أخرى،كما يحتاج إلى وضع المعايير المُناسبة لتنمية الإبداع لدى الأطفال وتشكيل الطفل المُبتكر، ووضعه في سياق اجتماعي يُساعده على تنمية قدراته وفكره وخياله.ومن أهم الأمور التي يجب مراعاتها عند إعداد مواد أدب الأطفال، أو عند تنفيذها [12]وضع مادة أدب الأطفال على شكل مُشكلات تستثير الطفل وتتحدى عقله،وتفتح المجال أمامه كي يُفكر تفكيراً علمياً،وتُفسح المجال لخيال الطفل كي يتصور ويُحلق في عالم مفارق لعالم الواقع،و عرض مواد أدب الأطفال على أنها نتيجة تطور لا يقف عند حد، ولا بد من إتاحة التحري للعقل لعرض المقدمات ثم النتائج، وإفساح المجال أمام الطفل للتجرد من حالات مُتعددة، وتحرير عقليته من المحرمات الفكرية، والدعوة إلى فحص البيئة بحثاً عن خبرات جديدة،إضافة إلى تدريب الطفل على الاستماع الناقد والقراءة والمشاهدة الناقدة والترحيب بإبداء الرأي والدعوة إلى التفسير،والتحليل والموازنة بين الآراء والحقائق، وكشف العلاقات والدعوة إلى استخدام الخيال، والمُخاطرة العلمية المحسوبة للاكتشاف،والحق أن الحديث عن أدب الأطفال يحتاج إلى دراسة مستقلة ،غير أن هناك مجموعة من النقاط الرئيسة التي لا يُمكن أن يتجاوزها كل من يُبدع في مجال الكتابة الأدبية المُوجهة للطفل،ومن أهمها: نبذ العاميات(الكلام المحكي) المتداولة في البيئة واللجوء إلى لغة فُصحى سليمة التركيب واللفظ،ونبذ الألفاظ المُقعرة والدخول إلى عالم الألفاظ الحيّة المُستخدمة في الحياة الأدبية والثقافية العربية المُعاصرة،إيماناً منهم بأن اللُّغة الموروثة لم تعد صالحة للاستخدام في هذا الميدان،و بناء جمل عربية القالب، والبُعد عن الجمل العربية التي لها جذور في المترجمات،واللجوء إلى أسلوب ناصع بعيد عن الصيغ المُعقدة التي غالباً ما يملها الطفل. ويرى الباحث(عادل أبو شنب)أن الفهم الجديد لطبيعة اللغة العربية-وهي وسيلة الإيصال الرئيسة- أدى إلى ولادة نتاج أدبي جديد، لا يمت بصلة إلى المحاولات الأدبية التي رعى أصحابها السير على خطى اللغة القديمة الموروثة،والفهم الجديد لا يعني التنكر للتراث اللغوي العربي،وإنما يعني تطويره بحيث يتلاءم

مع روح العصر الذي فتح ذراعيه للمزيد من السُهولة في البناء اللغوي،بعد أن راجت وسائط كثيرة لتعميم الثقافة،ويقترح الباحث أن يتم توفير مجموعة من الشروط للنهوض بأدب الأطفال على مستوى الأقطار العربية جميعها[13]،وهي: مناخ الإيمان به كوسيلة تثقيف وتوعية وترفيه، لا من قبل الأدباء والآباء وحدهم،وإنما من قبل المؤسسات الثقافية والتربوية المرتبطة بالحكومات.و ربط الأدب العربي المُعاصر والمكرس للأطفال بمناهج التعليم، واستبدال النصوص الرديئة بنصوص أدبية معاصرة تضع الأطفال القراء أمام النوعية الجديدة وجهاً لوجه.وإنشاء حوافز معنوية ومادية تحث الأدباء العرب على تبني الكتابة الأدبية للأطفال، أو التفرغ للكتابة لهم،وتكريس مؤسسات النشر الحكومية- وحتى الخاصة-لقسم حيوي من مجهودها لنشر أدب الأطفال،إضافة إلى إيقاف ومنع الغث من الكتابات المُوجهة للأطفال العرب من التداول،والبحث عن أدوات إيصال جديدة تُغري الأطفال،وإيجاد وسائل فعالة لتعميم الجيِّد من النتاج الأدبي المُكرس للأطفال على مختلف الأقطار العربية عن طريق إنشاء شبكة توزيع تستطيع الإيصال في وقت واحد إلى كل بقعة من بقاع الوطن العربي.ومن المُفيد أن نُشير إلى بعض التوصيات التي قدمها الباحث(أحمد عبده عوض) في مجال أدب الأطفال [14]: استلهام التراث العربي الإسلامي فيما يُقدّم للأطفال،واستلهام تعاليم الإسلام ونهجه في تربية الأطفال عند الكتابة لهم،ويُوصي الباحث باختيار المادة التي تُقدم للأطفال العرب: في ضوء المعايير الفنية والأدبية الصحيحة، فيما يتعلق بالمضمون والمحتوى،ويوصى بإجراء دراسات تقييميّة منتظمة من قبل الهيئات المتخصصة لفحص ما يُقدم للأطفال العرب، وتقييمه أولا بأول،ويُوصى بوضع ألوان من أدب الأطفال لمستويات مُحددة منهم، طبقا للخصائص المعينة التي تميز كل مستوى، وفي ضوء المعلومات النظرية والتطبيقية الثابتة في هذا المجال،إضافة إلى ضرورة مراعاة التنوع في القصص التي تُقدّم للأطفال، خاصة في المرحلة الابتدائيّة، فبجانب عناصر التشويق، يُراعى أن تُناسب القصص رغبات شريحة أكبر منهم، وتوفير الأعداد الكبيرة من القصص القصيرة في مكتبة المدرسة، وتوجيه التلاميذ إليها.ويُوصي بإنشاء هيئات ثقافية جديدة، تُعنى بأدب الأطفال في الوطن العربي، وتشجيع الكُتّاب وتحفيزهم على ذلك.ويُوصى بعمل بيبلوجرافيا لكل ما كُتب للأطفال بصورة مباشرة، أو غير مباشرة من العصر الإسلامي إلى يومنا هذا.ويُوصى بالأخذ بما ورد في ميثاق حقوق الطفل العربي من توصيات مُهمة تتصل بتشجيع أدب الطفل العربي.ويُوصى بزيادة إنتاج المواد الثقافية الهادفة لأطفالنا لمواجهة الغزو الثقافي الذي تتعرض له المنطقة العربية.ويُوصى بدعم الدراسات الميدانية التي تُعنى بدراسة أدب الأطفال في البلاد العربية، دعماً حُكُوميا وتنسيقيًا.ويوصى بالعناية بتنمية الثروة اللُّغوية للأطفال، من خلال المصادر المتنوعة، فضلا عن ضرورة استرشاد مؤلفي كتب الأطفال بنتائج البحوث اللُّغوية المُتّصلة بدراسة القاموس اللُّغوي للطفل.و يُوصى بالحرص على الكتابة للأطفال باللغة العربية الفصحى المناسبة لهم،وإنشاء مؤسسة عربية لأدب الأطفال، وصحافتهم، وإنتاج البرامج الإذاعيّة والتلفزية الموجهة إليهم، لما لهذا المجال من أهمية قصوى، ولتلافي النقص الكبير فيه.و يوصى بالاهتمام بتدريس مادة أدب الطّفل العربي بصورة منهجية مُتخصصة في المرحلة الجامعية، لمساعدة المعلمين، والمعلمات، والمُشرفين، والمُشرفات على التعامل الجيِّد مع الأطفال.ويوصى بتوجيه العناية إلى الدراسات التربوية

المتصلة بأدب الطفل العربي، مثل: دراسة الميول، والقراءات، وتحليل مُحتوى كتب الأطفال.ومن بين القضايا التي ناقشها الباحث(جاسم محمد جندل)في(موسوعة الطفل)العلاقة بين الحاسوب والطفل، و تجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن درجة التقدم العلمي تؤثر بشكل كبير في إنتاج الفروق الفردية بين الأطفال، فالحاسوب على سبيل المثال يُساهم في تنمية المقدرة اللغوية عند الطفل،إذ يستطيع التعامل مع الحاسوب قبل السنة الرابعة من العمر،ويُنمي وعيه، ويُقوي مداركه، ويزيد من حدة نشاطه،كما يُوفر الحرية،وعدم الخضوع لنظام المدرسة، ويُساهم في اختياره للموضوع،ويُطور الطفل بوساطة الحاسوب مهارته في القراءة، والكتابة، والفهم، والاستيعاب، والرسم، وإعداد البرامج، كما يُعزز ذخيرته من خلال سماع اللُّغة العربية الفصيحة،وهي تؤدي إلى الأداء السليم، والجميل عن طريق برامج تلاوة القرآن الكريم،وإلقاء الشعر،ويُساعد الحاسوب الطفل على التخلص من كثير من مشكلات النطق،والسلوك، كالتلعثم،والتردد، والارتباك،ويُقدم له مساعدة كبيرة على النطق الصحيح للأحرف اللثوية،والحروف القمرية،وخاصة الجيم، والحروف الشمسية،ويُمكنه من قراءة الأعداد المكتوبة بالكلمات، وتطبيق كثير من القواعد،كما يُعلمه فن الإلقاء،والخطابة، والمُحادثة، وإجراء المقابلات،والحوارات،ويوفر له قراءة سهلة،وواضحة ممتعة[15].

إن القضايا التي تناولتها هذه الموسوعة الشاملة لهي أرحب من أن تتم الإحاطة بها في هذا البحث الذي يقتضي الاقتضاب، وما يجب أن ننبه إليه أن(موسوعة الطفل) تكتسي أهمية بالغة،كونها تعد مصدراً رئيساً يسترشد به القارئ في أي مجال من المجالات التي تتصل بقضايا الطفل،حيث إنها تُقدم معلومات أساسية،وحقائق ثابتة، ومعارف ثمينة حول شتى القضايا والمواضيع المُتصلة بعالم الطفل، وهي صالحة سواء للباحثين المختصين،أو للقراء العاديين،كونها قدمت الخلفيات الأولية من المعارف، والتي يُمكن الإفادة منها من قبل الرجل العادي والدارس والخبير والباحث الراغب في توسيع المعلومات،وقد اتسمت هذه الموسوعة بدقة التنظيم في منهجها وتقسيم فُصولها، وما يُلاحظ على هذه الموسوعة أن صاحبها لا يذكر المصادر والمراجع،كما أنه لا يستخدم الهوامش في أسفل الصفحات،وفي آخر الفصول.

2-أعمال موسُوعيّة مُتميزة في مجال التاريخ الثقافي الجزائري:

أ-تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي إلى غاية الاستقلال(814ق.م-1962م):

صدر هذا العمل الموسوعي الضخم الذي أنجزه الباحث الدكتور(صالح بن نبيلي فركوس) سنة:2013م،عن منشورات مؤسسة(ايدكوم)للنشر والتوزيع بقسنطينة،وبدعم من وزارة الثقافة الجزائرية، وقد توزعت هذه الموسوعة على ثلاثة أقسام ضخمة،والحقيقة التي يجب إقرارها أن صاحب هذا العمل الموسوعي قد بذل جهداً كبيراً في سبيل النهوض بإنجاز هذا السفر القيم، والذي يُصنف في خانة الأعمال الموسوعية المتميزة التي أرخت للثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي إلى غاية الاستقلال،وبعد قراءتنا المتكررة لهذا السفر لاحظنا أن العمل من خلال تبويبه وتقسيمه التاريخي الدقيق يعكس دقة منهجية متناهية تنم عن الضبط الجيّد لأجزاء هذه الموسوعة، وتكشف النقاب عن الاطلاع الواسع للباحث على مختلف تيارات الثقافة الجزائرية،فقد جاءت هذه الموسوعة الشاملة لتتبع بدقة مختلف التطورات

والتحولات التي عرفتها الثقافة الجزائرية من العصور التليدة إلى غاية الاستقلال.ويجد القارئ لهذه الموسوعة الثقافية باقة من المعلومات المُتنوعة في التاريخ والأدب والفكر والفلسفة والتصوف ،كما يجد فيها ترجمة مُوسعة لعدد كبير من علماء الجزائر الأفذاذ .لقد خصص المؤلف الجزء الأول من هذا الكتاب الموسوعي لرصد تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي إلى نهاية الحكم العثماني التركي(814ق.م-1830م)،وبيّن في مقدمة الجزء الأول أن من مقاصد دراسة تاريخ الثقافة الجزائرية معرفة الجوانب الحضارية والثقافية والعلمية التي عرفتها أمتنا عبر مراحلها التاريخية المختلفة،ذلك أن العبرة من هذه الدراسة هي الوقوف على تلك الجوانب والشواهد لاستخلاص الدروس والمواعظ،وهذا العمل الموسوعي يستهدف قدر الإمكان تبيان إلى أي حد كانت الثقافة الجزائرية تستوعب مُختلف مجالات العلم والمعرفة،وما يجري من أحداث داخلية وخارجية ومن أفكار واتجاهات وآثار في العقيدة والأدب وغيرهما [16] ،وبالنسبة إلى ما يُمكن أن يُقدمه هذا العمل الموسوعي من جديد، يذكر الباحث (صالح فركوس) أن البحث التاريخي والعلمي الذي يتسم بالموسوعية بشكل عام يظل دائماً بحاجة إلى مزيد من الإثراء والتنقيب،ولا أحد يستطيع الإحاطة بالموضوعات التي تتصل بتاريخ الثقافة الجزائرية مهما اجتهد وعمل،وتاريخ الثقافة الجزائرية ما زال في حاجة إلى دراسات كثيرة ميسرة،وتتضمن ترتيبات للأدلة التاريخية، وتُزاوج بين التراث القديم، والعقل الحديث،فالثقافة المقطوعة الجذور والأوصال لا تبني حضارة ولا تُحقق للأمة مكانة[17]،وتُشكل الثقافة بدلالاتها الواسعة جداً،وماهيتها الزئبقية في الأعمال الموسوعية جزءاً ضخماً لا يُمكن الإحاطة به من شتى الجوانب،فهي محور منظومة التنمية، وهي كل متكامل، وهذا الكل يشتمل على المعارف، واللُّغة،والفنون،والحرف،والعلوم،والآداب،والقوانين،وا لأعراف،والديانات،

والثقافة من « الثَّقْفِ »، الذي له عشرة معانٍ في لغة العرب، حسبما هو مدّون في القواميس، والمعاجم الموثوق بها عند علماء اللغة ،ومن أهمها: تسوية الشيء، وتقويم اعوجاجه، تقول : ثقفتَ الرُّمح، أو القوس، أو أي شيء معوج، إذا قوّمتَه، وسويته من اعوجاجه، فيغدو مثقّفًا مُقوّمًا، وعلى هذا الأساس استعيرت لفظة: « مُثقف » إلى كُلّ ما هو مستقيمٌ صَلْبٌ،وكذلك فهي الحِذْقُ والمهارة في إتقان الشيء، قال ابن منظور : « ثقف الشيء ثقفًا، وثقافًا، وثقوفه، حذقه، ورجلٌ ثَقْفٌ، وثِقِفٌ، وثقَفٌ، وثَقِفَ الرّجلُ ثقافة، أي : صار حاذقا فطنا، فهو ثَقِفٌ، وثُقُفٌ، مثل : حَذِرَ، وحَذُر... »، وقد ورد هذا المعنى نفسه في بعض عبارات المتقدّمين، مثل : عبارة أبي حيان التوحيدي في « المقابسات » ،وعبارة ابن خلدون في « المقدمة». و الثقافة في أدنى مستوياتها هي مجموع الاستجابات، والمواقف التي يُواجه بها شعب من الشعوب – بحسب عبقريته – ضرورات وجوده الطبيعي من مأكل، وملبس، وتناسل، أمَّا على المستوى الأرفع فإنَّ للثقافة أوجهًا ثلاثة هي :تنمية الفكر، وترقية الحس النقدي،وتكوين الحس الجمالي،وإرهاف الذوق،والاستمساك بالقيّم،وغرس الحس الأخلاقي[18].وكثيراً ما يقع الخلط بين دلالات(الثقافة)،و(الحضارة)،و يذكر في هذا الصدد الباحث سيد غدريس هاني أن الحضارات هي هُويات ثقافية في التقليد الأنثروبولوجي الأمريكي،وهم نادراً ما يُفرقون بين الثقافة والحضارة،وقد اعتادوا في الترجمات ذات الأصول الأمريكية أن يُترجموا الثقافة

بالحضارة،والحضارة واحدة والثقافات متعددة،ففي عصر ثورة الاتصالات هناك حضارة واحدة،وفي الماضي سمعنا عن وجود حضارات،وهذا إنما يرجع إلى أزمة التواصل ومُشكلة العزلة،إن الحضارة ليست هي مطلق الحضور،كما ينحو الجميع،فمالك بن نبي مثلاً، بالنسبة إليه الحضارة هي أخص من الحضور،إنها حضور أمثل وأقوى،والحضارة هي القوة،والثقافة هي أمر ملازم لكل أشكال الحضور،فالثقافة هي إفراز وجودي لكل الكيانات الاجتماعية،لكن الثقافة ليست بالضرورة حضارية،فالثقافة تمثل من الحضارة مرحلة القوة،والحضارة تمثل من الثقافة مرحلة الفعل،والحضارة أخص من الثقافة،فالقوة واجبة في حق الحضارة،وممكنة في حق الثقافة،ما يعني أن كل ثقافة تملك إمكانية التحضر،ولا يجب لها التحضر، حتى تُصبح قادرة على إنتاج القوة ،و الحضارة : - عند اللغويين - « خلاف البداوة »، وهي عند ابن خلدون : « تفنُّن في التّرف وإحكام الصنائع ». أمَّا في نظر الدكتور محمد بن عبد الكريم، فهي : « ظاهرة اجتماعية، تتبلور في نظم محكمة، وآثار ماثلة ». فقولنا : « ظاهرة اجتماعية »، يعد احترازا من الظاهرة الفردية التي مبعثها الثقافة. ونعني بـ « النظم المحكمة » كل ما يقتضيه النظام والإحكام في تسيير شؤون الإنسان المتحضر ، مثل : النظم السياسية، والاقتصادية، والإدارية والقضائية، والحربية، والثقافية، والزراعية، والتجارية، والأسرية، وهلمَّ جرًّا... ونعني بـ « الآثار الماثلة » فن العمارة بجميع أنواعها : مثل : تخطيط المُدن، وتمصير الأمصار، وتشييد البنيان، ثم النحت، والرسم، والتصوير، والزخرفة، وجميع الفنون الجميلة..، وهناك فرق بين « الثقافة » وبين « الحضارة » من عدة وجوه.

أولاً : إذا كان مفهوم الثقافة ينزع إلى الخصوصية، فإنَّ الحضارة تنزع إلى العمومية، فالثقافة هي الحضارة الخاصة بأمة من الأمم، لا يُشاركها في شأنها أحدٌ، تحمل صيغة هذه الأمة، وتتّسم بسماتها، ووراء كل حضارة دينٌ، وقد تصبُّ عدة ثقافات في نهر حضارة واحدة. فالثقافة العربية التي ننتمي إليها هي في أدنى مستوياتها مجموع تقاليدنا وعاداتنا، أمَّا على مستواها الأعلى فهي النهج الذي نهجه الغزالي في الجانب الروحي، وابن رشد في الجانب الفكري، وابن حزم في الجانب الأخلاقي، وابن خلدون في الجانب الاجتماعي، ونشكل – نحن العرب – بثقافتنا مع ثقافات أخرى – الفارسية والتركية – نشكل الحضارة الإسلامية التي ساهمنا جميعا في إنشائها وإثرائها. ثانياً : أنَّ الثقافة تصور وإرادة، وأنَّ الحضارة أثر ونتيجة لهما.

ثالثاً : أنَّ الثقافة وصف عام للفرد والأمة، وأنَّ الحضارة وصف خاص بالأمة، أي : مثلها مثل « العلم ». يقال : « حضارة الأمة الفلانية »، ولا يقال : « حضارة الشخص الفلاني »، بخلاف « الثقافة »، فتصدق على الشخص والأمة. رابعاً : أنَّ الحضارة تتجسم في النظم السياسية، وفي العلوم، والصنائع، والاختراعات على وجه العموم، وأنَّ الثقافة تتمثل في اللغات، والآداب، والتواريخ، والفلسفات، وجميع العلوم الإنسانية، أي : أن الثقافة تقدّمٌ من الوجهة الخُلُقية والفكرية، والحضارة تقدّمٌ من الوجهة الاجتماعية على وجه العموم. خامساً : كل أمّة مثقفة يصدق عليها أن تكون متحضرة، وليس العكس،لأن هناك الكثير من الآثار الحضارية القديمة التي مازالت قائمة ومرئية حتى الآن، بَيْدَ أنّ إيجادها لم يكن بدافع ثقافي : مثل أهرام مصر، ومختلف الأسلحة المحفوظة في المتاحف الدولية، فتلك شُيّدت بدافع وهمي – على أحد الأقوال في سبب بنائها - وهذه صُنعت من أجل الدفاع عن النفس تارة، وسفك الدماء بها تارة أخرى.

وما قيل في ذلك يقال في القنابل الذرية والأسلحة الفتاكة، المصنوعة في العصر الحاضر، فإنَّ صنعها لم يكن بدافع ثقافي، وإنَّما كان بدافع الترهيب، وحُبّ التسلط على البشرية، وسفك دمائهم، وهذا منافٍ للثقافة، التي تهدِفُ إلى تهذيب الأخلاق، وتقويم السلوك، وحب الخير، وإصلاح المجتمعات. وعلى هذا الاعتبار فالثقافة أعلى من الحضارة، وأرقى منها في سلم الحياة. وهي، على وجه العموم، روحية في الجوهر... أمَّا الحضارة فمادية في جوهرها ومحسوسة، والثقافة سابقة على الحضارة في الوجود... وليس في الإمكان ضبط الحد الفاصل بين الثقافة والحضارة بوجه دقيق.

ويرى بعض الدارسين أن مفهوم الحضارة لم يلق إجماعاً على دلالته بين مُختلف الحضارات الإنسانية التي عرفها التاريخ،على الرغم من اشتراك هذه الحضارات في كثير من القيّم الإنسانية التي تُشكل جوهرها،فمن يرغب في المضي في مسار حوار الحضارات على سبيل المثال،عليه أن يتفق على حدود دُنيا لمفهوم(الحضارات الإنسانية)،ولتصنيفاتها التي تتفاوت نظراً لاختلاف المعايير، وهناك«أمر آخر،وهو أننا ننسب الحضارات الإنسانية في محاولتنا تصنيفها إلى القارة حيناً(فنقول الحضارة الغربية)،وإلى اللغة أو الأمة حيناً ثالثاً(فنقول الحضارة العربية،أو الحضارة الصينية،أو الحضارة اليابانية)،وإلى العقيدة حيناً رابعاً(فنقول الحضارة الإسلامية)،وإلى الإقليم أو النهر أو الوادي خامساً(فنقول حضارة بلاد الرافدين)وإلى العصر سادساً(فنقول الحضارات القديمة،أو الحضارة الحديثة)،وإلى غير ذلك مما يقع المرء عليه في قراءاته لتاريخ الحضارات الإنسانية،ولكننا نادراً ما نسأل أنفسنا هل ثمة حضارة صرف نقية لا تشوبها شائبة من حضارة أو حضارات أخرى؟ونمضي أحياناً في نزعة التمركز حول الذات فنتحدث عن(عبقرية الحضارة)التي نتماهى معها،وننتسب إليها،أو نرغب في الانتساب إليها»[19]. يُمكن اعتبار المُقدمة التي كتبها صاحب موسوعة (تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي إلى غاية الاستقلال(814ق.م-1962م)، بمثابة مدخل أو تمهيد لهذه الموسوعة الشاملة، وقد ركز من خلالها على التداخل الوشيج بين الثقافة والتاريخ،ونبه في هذا الشأن إلى بعض الأفكار التي قدمها مالك بن نبي الذي يذهب إلى أنه لا يُمكن تصور التاريخ بلا ثقافة،لأن المجتمع الذي فقد ثقافته،يكون حتماً قد فقد تاريخه،ولذلك يؤكد صاحب الموسوعة على أهمية دراسة تاريخ ثقافة الأمة الجزائرية،كونه يُعد ضرورياً جداً لتبيان مسيرة هذه الثقافة،والوقوف على أبرز مظاهرها ومفكريها وعُلمائها،والمحافظة على أصالة الأمة الجزائرية، أما الثقافة الإسلامية فيشرحها المؤلف بالإشارة إلى أنه يقصد بها الثقافة التي محورها الإسلام بمصادره وأصوله وعُلومه المتعلقة به،والمنبثقة منه،لأن الداعية الذي يدعو الناس إلى الإسلام لابُد له من مجموعة من الثقافات:الثقافة الإسلامية، والتاريخية، والأدبية واللغوية، والثقافة الإنسانية والعلمية [20].ونبه كذلك في هذا الجزء إلى بعض خصائص الثقافة الأمازيغية في عصر الفينيقيين، وتحدث عن الثقافة في عهد الرومان، والفتح الثقافي الإسلامي، وسلط الضوء على طُبنة عاصمة الثقافة الجزائرية، وكرس قسماً كبيراً من هذا الجزء للحديث عن الثقافة في عهد الدولة الرستمية ،فتحدث عن الخوارج، وعن مؤسس الدولة الرستمية،وأشار إلى بعض معالم سياسة عبد الرحمن بن رستم،ولم يُغفل الحديث عن العُمران والتجارة والفلاحة والشعراء ورسائل الإمام أفلح،كما تناول في هذا الجزء بعض مظاهر الثقافة في عهد الدولة العبيدية الفاطمية، وخصص قسماً من هذا

الجزء للحديث عن الثقافة في عهد الدولة الحمادية،ورصد صاحب الموسوعة الطب والعلوم العقلية بالجزائر،وتناول قضايا التعليم، والنهضة الأدبية في عهد الدولة الأغلبية،كما توقف مع المظاهر الثقافية في عهد الدولة الموحدية،وتحدث عن الأدب واللغة والتاريخ،وفي الجزء الثاني من الموسوعة كشف النقاب عن حالة التعليم الجزائري والغزو الثقافي الاستعماري، وتوقف ملياً مع الدور الذي قامت به فرنسا في نشر الجهل والدمار والتنصير، وتحريف القضاء الإسلامي، وإرجاع مشمولاته إلى القضاء الفرنسي،ومُحاربة الثقافة العربية الإسلامية،وخصص قسماً كبيراً من هذا الجزء لرصد التعليم في المساجد،فذكر أهم المساجد الجزائرية العريقة،وتتمثل القيمة العلمية لهذه الموسوعة في كونها محاولة موفقة جداً لإبراز تاريخ الثقافة الجزائرية، وإحياء التراث الوطني،والتنبيه إلى ما عانته الثقافة الجزائرية من حرب استعمارية، وقد استطاع مؤلف الموسوعة بما بذله من جهود مضنية كلفته عدة سنوات من البحث،أن يجمع شتات محطات مهمة جداً من تاريخ الثقافة الجزائرية في هذا العمل الموسُوعي،الذي تميز بالاستطراد والإسهاب في بعض الأحيان في نقل المعلومات المُتوفرة عن الأعلام، وفي كثير من الجوانب نُلفيه يُفصِّل في عدة أحداث ومواضيع مُتشابكة ومتداخلة،كما قدم المؤلف صورة حية عن الحياة الثقافية والاجتماعية والتعليمية التي كانت سائدة في الجزائر إبان العهد العثماني والعهد الاستعماري.

ب-موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية:

تضم هذه الموسوعة التي أنجزها الباحث الدكتور(مختار حساني) معلومات مكثفة وغزيرة عن المدن الجزائرية العريقة،وقد ركز فيها على مختلف الجوانب المعرفية التي تشمل الحياة الاقتصادية والحياة الفكرية ،وعناصر السكان،فضلاً عن إبراز الأهمية التاريخية لشتى المدن،وأهم الأسر العريقة في المدن الجزائرية، ولاسيما منها التي أسهمت في النهضة العلمية ،والحركة الثقافية والفكرية والدينية،وقد جعل صاحب الموسوعة القسم الأول منها للحديث عن مدن الشمال، وخصص القسم الثاني للتركيز على مدن الجنوب، وقد صدرت هذه الموسوعة المتميزة ضمن منشورات دار الحكمة بالجزائر العاصمة،في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية سنة:2007م،ومن خلال عنوان هذه الموسوعة يتبدى التداخل بين التاريخ والثقافة في الأعمال الموسوعية التي تُركز على المدن، وهذا ما يُذكِّرنا بما ذكره مجموعة من علماء الاجتماع، ومن بينهم المفكر مالك بن نبي، الذي أشرنا إلى منظوره سلفاً،والذي يذهب من خلاله إلى أنه لا يُمكن تصور التاريخ بلا ثقافة،لأن المجتمع الذي فقد ثقافته،يكون حتماً قد فقد تاريخه،والحقيقة التي يجب إقرارها في إنجاز الموسوعات هي أن التاريخ يُشكل حجز الزاوية، ويكتسي أهمية استثنائية،واستلهام التاريخ، واستدعاء التراث يُمكن أن يتم تناوله من عدة جوانب متنوعة،ومُختلفة،وذلك بالنظر إلى مضامينه الثرية، ومُحتوياته الزاخرة بالأحداث والتحولات،وفي هذا الصدد نشير إلى جانبين يُمكن من خلالهما تناول التراث، واستلهام التاريخ،هناك تحقيق هذا التراث بطرائق علمية،ومنهجية،وتقديمه في طبعات تُساهم في ترغيب القارئ في قراءته،وليس مُستبعداً أن نُلفي في هذا التراث المُحقق ما يُمكن الإفادة منه،سواء أكان ذلك في الجوانب التطبيقية،أو العلوم الإنسانية،وهذا الجانب يتصل بشكل أساس بالباحثين في ميدان تحقيق النصوص، وتحليلها، ونقدها، وإيضاح العناصر الإيجابية فيها بغرض استغلالها،واستثمارها، وتبيين الجوانب السلبية قصد تجنبها،وهناك جانب من

التاريخ،والتراث يقع تجسيده، وتمثله من الجانب الفكري،أو الحضاري،وإعادة إخراجه في ثوب جديد، وصياغته في حلة حديثة،على شكل نص أدبي في قصة،أو رواية،أو مسرحية،أو قصيدة شعرية مُطولة،وهذا الجانب يتصل بالمبدعين الذي يجدون في التراث ميداناً فسيحاً،يُساهم في تنشيط خيالهم،فيُحلقون في أجواء الخلق الفني،انطلاقاً من الأحداث التاريخية الكُبرى،أو الشخصيات المثيرة التي تكون بمثابة وعاء يصبون فيه ما لم يستطيعوا قوله صراحة،وعلناً[21] ،و التاريخ له جُملة من الأبعاد في الأعمال الموسُوعية،وفي غيرها من الأسفار، فهو يُوضح الأنماط الفكرية، والمُجتمعية، ويرصد جملة من الأحوال،والأحداث التي يمر بها كائن ما، وهذا ينطبق على الفرد،والمجتمع، كما يصدق على الظواهر الطبيعية، والإنسانية، وهو علم يبحث في الإنسان،ومجتمعاته،وهو يُميط اللثام عن مرحلة محددة، ومحدودة من ماضي البشرية، ويتسع ليصل إلى الأزمنة التي انتقلت إلينا أخبارها، كما أنه يصور التطور البشري، ويصل الأحياء بالأموات، ويوثق في الأنفس معنى الديمومة،وقد تطور مفهومه، وتحول من حقبة إلى أخرى ،فبعد أن كان سرداً للأحداث العسكرية، ومُتابعة لطبقة معينة من الحُكام، والأمراء، والمعارك المحددة، أصبح سجلاً للحياة الإنسانية بسائر جوانبها الفكرية، والمادية ،كما أصبح يُركز على رصد تطور العواطف، والآراء، ومصادر الثروة،ولذلك فقد اتصف بالشمولية، من حيث إنه أخذ يُعنى بمجموع الناس، وطبقاتهم كلها دون استثناء[22]،وبالنسبة إلى المنهج الذي نهجه الدكتور (مختار حساني) في(موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية)،فهو يُدرج الأعلام مع المدن والزوايا،كما يتحدث باستفاضة عن عناصر السكان،وما يمكن قوله إن هذه الموسوعة تعد من الأعمال القيّمة التي لم تحظ بالعناية الكافية من لدن مختلف الباحثين والدارسين،وهي إنجاز علمي يستحق الإشادة والتنويه،وأسلوب مؤلفها اتسم بالسهولة والوضوح، وهو صحيح التركيب،ويعتمد على انتقاء الألفاظ المُناسبة،فنجده يصف عناصر السُكان في مدينة بسكرة-على سبيل المثال-، في الموسوعة بقوله: «...ومن خلال ما سبق نلاحظ أن الطابع المغربي لسكان مدينة بسكرة والمناطق المجاورة لها فقد أهميته،وهذا يرجع إلى عاملين أساسيين:ضعف القبائل البربرية نتيجة للحروب التي عاشتها بلاد المغرب الإسلامي مع بداية عهد الدولة الفاطمية،حيث أدى ذلك إلى تقسيم السكان إلى عنصرين...» [23].وتجدر الإشارة كذلك إلى أن العنوان الذي انتقاه المؤلف لهذه الموسوعة يُثير عدة أسئلة شائكة ومُتداخلة،ولاسيما فيما يتصل بتاريخ المدن الجزائرية،حيث يجب الإقرار أن تاريخ العديد من المدن الجزائرية ما زال مجهولاً،نظراً لغياب الوثائق التي كُتبت عن كثير من مدن المغرب الأوسط،ونجد رؤى متضاربة بالنسبة إلى تاريخ مجموعة من المدن الجزائرية، ومن بين هذه المدن على سبيل المثال مدينة(قسنطينة)،وهي المدينة الضاربة جذورها في أعماق التاريخ،والتي ما يزال تاريخها يكتنفه الغموض، فكل من يحاول أن يؤرخ تأريخاً دقيقاً لها،تواجهه جملة من الصعوبات،ولاسيما في العصرين القديم والوسيط،حيث يُرجع الدكتور(عبد الله حمادي) هذه الصعوبة إلى تاريخ المدينة العريق،والذي يزيد عن ثلاثة آلاف عام،والذي ما يزال الكثير منه مجهولاً بسبب غياب الوثائق الرسمية التي كُتبت عن المدينة،وأغلب من كتب عنها، كتب بأسلوب الغازي،وعلى الرغم من أن المدينة كانت«عاصمة سياسية، وثقافية،وإدارية لمملكة نوميديا في القديم،وعاصمة إقليمية في العصر الوسيط،وهي

الوظيفة نفسها التي احتفظت بها في العصرين الحديث والمعاصر،فإن دراسة المدينة هي دراسة صعبة وعسيرة،وذلك لأن مصادرها مصادر نادرة،وغير مُباشرة،والأخبار عنها أخبار مُقتضبة ومختصرة، يغلب عليها السياق العارض،والغموض في كثير من الأحيان،وهذا ما يجعل الدارس يميل إلى الافتراضات،والتخمينات في معالجة تاريخ قسنطينة،لأن مصادرها،ووثائقها،وحتى آثارها الصماء،تكاد تكون منعدمة...» [24].إن مدينة قسنطينة هي واحدة من المدن العربية العريقة،فقد كانت خزاناً للعلماء والفقهاء،وجامعة للعلوم، والمعارف، بفضل مدارسها، وزواياها العتيقة،فقد ظلت على مدى قرون مضت مزاراً لطلاب العلم،ومحطة لأصحاب الرحلات،وقبلة للأولياء الصالحين،ومن بين الذين وصفوا مدينة قسنطينة أحمد بن المبارك العطار، الذي يقول: «قيل بناها قسطنطين الذي بنى القسطنطينية العظمى،التي اسمها اليوم إسلانبول،وهي المسماة بلغتنا اسطنبول،وقيل بناها عامل على وطن إفريقيا...والصحيح أنها مدينة قديمة بناها الذي بنى مدينة قرطاجنة،بنيت في زمن عاد قبل إبراهيم الخليل عليه السلام،يشهد لهذا القول إننا نسمع من أهل العلم أن قسنطينة من زمن إبراهيم،وهي عامرة لم تطفأ لها نار،ولا دخلها عدو قهار...» [25]. ويُعلق الدكتور(عبد الله حمادي)على هذا النص بالإشارة إلى أنه يُبرز صعوبة البحث في تاريخ مدينة قسنطينة،بالإضافة إلى أنه يُقر بالقصور عن إدراك هذا المرام،وذلك لعدم توفر الوثائق الشافية التي تستطيع الكشف عن خبايا،وأسرار مدينة عريقة عتيقة كقسنطينة،فقد ورد في هذا النص ذكر قسطنطين قيصر الروم الذي حكم ما بين:306إلى337م،وهو الذي اعتنق الديانة المسيحية سنة:313م،وما اقتران مدينة قسنطينة به، إلا لأنه باعث مجدها،ومجدد عروشها،وأركانها،وقد كانت قبل مجيئه تعرف بتسمية أخرى [26]. وقد ذكر الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري، أن قسنطينة أصلها يعود إلى قبائل كتامة،وقد دخلها الفينيقيون ملوك الشام من كولونية،لما خرجوا إلى إفريقية من صور سنة:836ق.م،واسمها في القديم سيرتا،وكانت عاصمة الوندال من إسبانيا،ولم يزل ملكهم فيها إلى أن استولى المسلمون عليها[27].

ج-حكم وأمثال شعبية جزائرية:

يُعد جمع الأمثال والحكم والقصص الشعبية والأحاجي والألغاز من أهم ما تفرضه الأعمال الموسُوعيّة الخاصة بأمة من الأمم، وهذا الجمع يفترض عملاً ميدانياً مُكثفاً، وجهداً علمياً دقيقاً، فميدان الأدب الشعبي، أو الثقافة الشعبية، كما يُفضل بعض الباحثين تسميتها،وذلك على أساس أن الثقافة أوسع دلالة،وأشمل من مصطلحي الشعر ،أو الأدب،وبدءاً أقول إن هناك من يُبرر دراسة الأدب الشعبي لجُملة من الأسباب الموضوعية،ومن بين هؤلاء العلاّمة المغربي(عباس الجراري)، الذي يُحدد أسباب تركيز الدراسة على الأدب الشعبي بالتأكيد على أن الأدب الشعبي صُورة للشخصية الوطنية،ومهما كانت باهتة فهي أكثر وضوحاً من الصورة التي يعيشُها الأدب المدرسي المثقف،وفي دراسته تعزيز لإقليمية الأدب،وتقرير لمذهبه،والأدب الشعبي مكمل للأدب المدرسي، وأن من شأن دراسته أن تُساعد على الربط بين الأدبين،واجتياز الهوة الكبيرة التي تفصل بينهما[28]. ولا ريب في أن الأمم تُعبر عن خلجاتها النفسية من خلال أدبها الشعبي،وثقافتها الشعبية،حيث تعكس تلك الثقافة اهتماماتها الروحية،ومداركها الوجدانية العقلية،بأسلوب غير خاضع لقانون الإيقاع

المتناسق،إلا ما جاء عفو الخاطر،إذ لا يُغالي في استعمال الصور،والأخيلة،وهو(الأدب والنثر الشعبي)بمرونته،وسهولته،يسمح بالتفاهم، والتعبير عن حقيقة الأشياء،والإبانة عن الأغراض النفسية،والخواطر الفكرية،بلا كلفة،و لا صنعة،إلا ما يكون من وضع الكلام في مواضعه،وإيثار ما يألفه السمح،وما ينسجم مع الطبع،وهو بذلك يُعبر عن مظاهر الوعي، والشعور الجمعي الذي تصدر عنه الأفعال والتعابير الواعية،ذات المغزى،والجذور النفسية التي ينبع منها،وهي في جلها، ومجملها تشكل الاهتمامات الروحية التي دفعها إلى الظهور،ومن ثم فهو يتلون، ويصطبغ بطابع أدبي شعبي،يتسم بثراء رموزه، وغنى معانيه، ودلالاته، التي تختزن فيها اهتمامات الفرد الشعبي،وتكمن فيها هواجسه،وتجاربه مع نفسه من جانب، ومع الطبيعة من جهة أخرى،حتى لكأن الحياة الشعبية تحدث من خلال الكلمات المُعبرة التي تلقى هوى بين أفراد الشعب،الذي يُلفي فيها روحه،وتجاربه،ومُشكلاته،وما يعتمل في نفوسه،ولذلك فإن هذا الشكل الأدبي الشعبي يعكس ما يمر في الأذهان من الخواطر،والأخيلة،والمشاعر،والأحلام،ومن ثم فهو يُحقق المُتعة المُرتبطة بمصيره،وقضاياه الاجتماعية الكبرى التي يؤثر فيها،ويُثريها بعناصره الفنية، والجمالية ،وبذلك يغدو أداة مطواعة في صقل الشخصية البشرية،وتكوينها تكويناً أدبياً يتسم بالإمتاع،والمؤانسة، والفكاهة،فصفة الشعبية تميز هذا الشكل من الأدب الشعبي، وهي ذات منشإ فردي ،لأن هذا الفرد يعيش حياة شعبية محضة، وخالصة،بيد أن ما يميزها هو ذلك النشاط الإبداعي،الذي يُحلق بجناحي الفكر،مُتخطياً الزمان، والمكان، ويتمثل هذا الإنتاج في النصوص المتوارثة عبر الأجيال،والمُنتقلة مع تقاليد الشعب الذي فسرها وأخضعها لإرادته،وأداء اهتماماته الروحية، ولذلك فلا نعجب عندما نجد أن ألفاظ هذا الأدب جاءت منحُوتة من بيئته الخاصة جداً،ومن الفعل الخاص،وقد يُترجم إلى اللُّغة الفصحى،وهي أم للعامية التي لم تسر على القانون النحوي، والصرفي،ولكن تظل دائماً للعامية جُملة من الصُور الفنية البديعة الخاصة بها، والمُميزة لنظامها،ففيها مجموعة من الصيّغ المتشكلة بجرس حدس وجدان العامة، وسلوكها،وكثيراً ما تكون عويصة الترجمة [29].

ومن بين الأعمال ذات الطابع الموسوعي،والتي ركز صاحبها على الثقافة الشعبية،كتاب:(حكم وأمثال شعبية جزائرية)،وهو الكتاب الموسوعة الذي ألفه الباحث مسعود جعكور،وكشف النقاب في مقدمته عن منهجه و أسباب نهوضه بتأليف هذه الموسوعة،فيقول: «...فإذا أُهملت هذه الثقافة الشعبية،ولم تُدوَّن وتُلقَّن إلى الأجيال الصاعدة،فسيكون مصيرها الزوال والاندثار بلا شك، وعلى هذا الأساس أخذت على عاتقي أن أجمع ما يُمكن جمعه من الحكم والأمثال الشعبية المُتداولة بين الناس،وهذا ما قُمت به.فبعد جُهد كبير تحقق المشروع بفضل الله وعونه،فتناولتُ ألفاً وسبعين(1070)حكمة ومثلاً تحتوي كلُّها على أفكار قوية و دلالات رفيعة،دعمت بعضها بقصص لم يُسبق نشرها،وهي عبارة عن أصول بعض الأمثال الشعبية حوَّلتُها من الدارجة إلى الفُصحى،وذلك حتى تكون الاستفادة أشمل وأوسع.كما قُمت بتدليل بعضها والتعليق عليها بإيجاز،وتركت البعض الآخر للقارئ الكريم ليستدل عليها بالمُستندات التي تلي كُلّ حكمة أو مثل...وقد يظن البعض بأنني من دُعاة تغليب اللُّغة الدارجة على اللغة الفُصحى،فأقول إن العكس هو الصحيح، إذ بهذه الخُطوة نكون قد ضربنا عدّة عصافير بحجر واحد،ونكون قد ساهمنا بقسط

متواضع في الحفاظ على هذا الموروث الشعبي الأصيل،والاستفادة من هذه الحكم والأمثال الشعبية التي تُعبِّر عن مظاهر حسنة تُصحح سلوك الناس،وتجعلهم يعتزون بها،إضافة إلى نشر الوعي الثقافي والعلمي في الأوساط الشعبية العريضة، و زرع الوازع الديني والأخلاقي في عقول الناس،والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر حسب أفهام الناس ومداركهم»[30].

لقد تمكن صاحب هذه الموسوعة القيّمة من جمع شتات عدد كبير جداً من الحكم والأمثال الشعبية، وشرحها بطرائق منهجية وعلمية دقيقة ومُستفيضة،فما جمعه كان متفرقاً بين أفواه العامة وبين الكتب والمخطوطات التليدة، وبعض الحكم والأمثال كانت في حُكم المفقودة،كما قدم لنا المؤلف العديد من الصور الحية للحياة الشعبية والاجتماعية والثقافية الجزائرية،فغايته من جمع هذه الأمثال والحكم وتصنيفها وترتيبها أن يحفظها من الضياع، ويصُونها من الاندثار،ويُحافظ عليها، وأن يُثري معارف القارئ ،ويزيده من رصيد المعرفة وخبرتها وحكمتها، ويُوضح مواردها الذهنية والفكرية،فهذه الموسوعة هي جهد متميز في ميدان خدمة الثقافة الشعبية،والنهج الذي انتهجه صاحب الموسوعة يخدم التراث الجزائري في أحد أبوابه الثرية الخصبة، ويُحيه،ويُبعده عن الإهمال والنسيان. والحقيقة التي يجب إقرارها هي أن العناية بالتراث الشعبي عن طريق النهوض بإنجاز موسوعات خاصة بالأمثال والحكم والأحاجي والألغاز والقصص الشعبية، لا تأتي فقط عن طريق جمعه والحفاظ عليه ،وإنما تتم بنقله وعرضه، وتوفير مجالات اللقاء و«التواصل والتلاحم بين عناصر التراث وبين حملته،ومنحهم الفُرصة للاطلاع والتأثر والتأثير،وإتاحة فُرص التنافس والبحث والكشف،واستخراج الكامن منه والميت والحي على السواء وعرضه،ولا يتأتى ذلك إلا بالعناية بأماكن حفظه وعرضه،بتوفير متاحف الفنون الشعبية عبر الولايات،ومراكز الأرشيف بالجامعات،أو المراكز الثقافية المؤهلة، واللقاءات والمهرجانات التي تخرج عن إطار الفرجة بدون هدف معرفي إلى المهرجان الثقافي الذي يفتح التنافس من أجل إبراز الجيِّد،وتمثيل المناطق عبر جغرافية الجزائر في ألوانها وإبداعاتها الشعبية وعاداتها وتقاليدها»[31].وبالنسبة إلى منهجية وطرائق إنجاز الموسُوعات الخاصة بالثقافة الشعبية،فجمع المأثورات الشعبية من مصادرها يتطلب عملاً ميدانياً،وتتألف عملية البحث في مجال المأثور الشعبي من ثلاث مراحل رئيسة هي:مرحلة جمع المادة من مصادرها الشفهية و(التحريرية)،تليها مرحلة تصنيف ما تم جمعه وفهرسته وإيداعه في أرشيف،ثم تأتي بعد ذلك مرحلة الدراسة والتحليل،فالمرحلة الأولى هي المرحلة الأساسية، والتي تحتل مكان الصدارة، ولذا ينبغي تنفيذها وفق خطة بحث مدروسة ،وحسب منهج علمي دقيق من أجل ضمان سلامة النتائج،ومن بين طرائق جمع المأثورات الشعبية التي يُوظفها أصحاب الموسُوعات الخاصة بالثقافة الشعبية طريقة الاستبيان التي هي عبارة عن أسئلة مُحددة تتصل بموضوع مُعين،ويبعث بها الباحث إلى جهات متعددة للإجابة عليها، وإعادتها إليه[32].ومن بين الأعمال الموسوعية النموذجية في مجال جمع المأثورات الشعبية،والاهتمام بالثقافة الشفهية: (موسوعة الفلكلور الفلسطيني) [33]التي أنجزها الباحث نمر سرحان،وفيها من صفات الموسوعات ما يجب الإشارة إليه في النقاط الآتية:الشمول فقد توفر للباحث من خلال ما جمعه من سنوات ماضية مادة فولكلور تُغطي مساحات واسعة جداً من حياة الشعب الفلسطيني الاجتماعية والاقتصادية والثقافية،إضافة إلى غزارة

النصوص ،فقد وفر الباحث مجموعة كبيرة من النصوص المتعددة في العنصر الفلكلوري الواحد،فضلاً عن رجوعه إلى عدد كبير من المراجع الأوروبية التي تحتوي المواد الغزيرة مما كُتب عن أرض التوراة.

خاتمة:

إن الأعمال الموسُوعية الناجحة تتطلب جُهداً عظيماً،إذ يُلاحظ أن الأمم المتحضرة التي أنجزت موسُوعات عظيمة، اهتم الباحثون فيها بثقافة شعوبهم وتاريخها، وبذلوا من أجل الوصول إليها كل ما يملكون،بل إنهم أفنوا أعمارهم في استكمال حلقات تاريخها دون كلل أو ملل،فهم يُنقبون في شتى المصادر ليصلوا إلى المعلومات التي تُضيء ما غمض عنهم، من أجل تلميع حلقات تاريخهم، وتحديد معالم أسلافهم وإنجازاتهم ومهاراتهم،وكل ذلك من أجل أن تتجلى لشعوبهم ملامح التميُّز والتفرد في البيئة أو الوطن،وتصل في الأخير إلى خُصُوصيتها الحضارية،وأحسن الطرائق للاهتمام بتاريخ الجزائر الثقافي والاجتماعي والبحث عنه وتقريبه من الشباب ،تتجسد من خلال إنجاز الأعمال الموسُوعية المتميزة والناجحة،فهذا الذي يخلق الوعي بما أنجزه أسلافنا في مختلف الظروف الحضارية،ومن يسعى إلى إثراء الأعمال الموسُوعية ويكتب من خلالها التاريخ الثقافي للجزائر،عليه أن يتأمل في المصادر التي يُمكن اعتصارها والإفادة منها نظرياً وميدانياً،وهي:الآثار في المتاحف وفي الطبيعة،وهي تشمل مُنجزات الإنسان الجزائري المادية الحرفية،إضافة إلى التأثيرات الحضارية الأجنبية،أو المحلية من عمق التراب الجزائري،ومن بينها الإبداعات الشعبية الجماهيرية المُتنوعة التي تتلاحق عبر العصور،وتبدو آثارها في هذه المنجزات،والباحث الذي يرغب في الإسهام في الأعمال الموسُوعيّة لابد له من التأمل بعُمق في إشارات المؤرخين،فمن المعروف عن المؤرخين أن مصادرهم ثلاثة أنواع:المصادر المكتوبة، والمصادر الشفوية، والمشاهدة والمعايشة للأحداث والوقائع،ولذلك يجب الانتباه إلى أن معلومات بعضهم يغلب عليها التأثر والميول الشخصية،وهذه العناصر والعوامل قد تكون غير مُرضية للباحث عن حقيقة ما في ثنايا أخبارهم،بيد أنها تكتسي أهمية قصوى،ويجب إخضاعها لمنطق التاريخ،ومنطق التصور الذي يظل سمة روح كل عصر وكل حين[34].وأياً ما يكن الشأن فإن الباحث لا يستغني عن العودة إلى كتب التاريخ،ويجب أن يضع في اعتباره أن ما يُمكن أن يفيده من التاريخ مثلاً هو العلاقات السياسية والثقافية بين الجزائر ودول المتوسط الأخرى،من مثل الصراع منذ الألفية الأخيرة قبل الميلاد، والحروب النوميدية القرطاجية،والصراعات البربرية الرومانية ، والملوك الأمازيغ والقرطاجيين،وهذه جميعها مؤثرات في توجهات الجزائر ونظام حياتها بحكم قربها من منطقة الصراع المتوسطي،وبحكم أنها شكلت منطقة صراع من جهة أخرى،إضافة إلى النشاط الاقتصادي للمجتمع من خلال دراسة الحركة التجارية والتبادل التجاري، وحركة التصدير والاستيراد،والعلاقات التي عُرفت بين الحاكم والمُجتمع،وأثر الحاكم في شتى الأوضاع الاجتماعية من حيث النمو والتطور،ومدى حُضور الحاكم في مشاريع المجتمع الصناعية والتجارية،والقوانين التي شملت ذلك وظروف تخطيط المدن وإحكامها، ومُواجهة المجتمع للكوارث والحروب التي خاضها،وانتصاراته وانهزاماته،وطرائق تنظيم الجيوش وتسليحها في مختلف الدول التي عرفتها الجزائر(المغرب الأوسط)في شتى العصور، وكذا التطورات والتحديثات التي أدخلت عليها، وكذلك الأمر بالنسبة إلى السفن الحربية والتجارية التي كانت تُصنع بمرافئ الجزائر،وتطور حرف صناعة السلاح، وصورة

المجتمع في ظل السلم والحرب،ومؤشرات انتشار العدل والرخاء الاقتصادي، ومدى تطور الآداب والفنون،وتطور المهارات والحرف والمنجزات مع التغيرات السياسية والظروف الدولية، والهجرات المختلفة للشعوب ،ونزوحها واكتساحها لشعوب أخرى واستقرارها وتأثيرها، وأثر ذلك في الثقافة وفي الحياة عموماً[35].ومن بين أشكال الكتابة الأدبية التي أغفلتها جملة من الموسوعات إشارات الرحالة،أو ما يُسمى بالكتابة الرّحلية التي تؤثر بشكل بارز في الثقافة الإنسانية جمعاء،وفي المجتمعات التي احتضنتها،فنحن نُلفي في هذا النوع من الكتابة خطابات الهُوية والغيرية، ونقرأ موضوعات تاريخية واجتماعية وسياسية تتصل بالعلاقات الدبلوماسية بين بلد الرحال والبلد المقصود في الرحلة،وتزخر عدة نصوص بمعلومات ثمينة علمية وثقافية تُميط اللثام عن جو المناقشات العلمية، وإلقاء المحاضرات والدروس في أهم المراكز الثقافية، والمؤسسات الدينية،فضلاً عن تبادل الإجازات والمعارف العلمية، والتأمل في أهم المعالم الثقافية،فالرحال يعتمد على مصدرين«أحدهما المشاهدة والتدوين للمعلومات،وهذا المصدر يحكمه التأثر الشخصي،وتأثير العادات والتقاليد والمعتقدات للرجال، والثاني الأخبار المنقولة،وهي أيضاً إما شفوية رواها له من التقى بهم ممن يعيشون في المناطق التي لم يزرها،أو رواها له تجار أو مسافرون عابرون،وإما أنها منقولة من كتب رحالة آخرين دونوا معلوماتهم ومشاهداتهم عن مناطق زاروها ولم يستطع الرحالة المرجع زيارتها أو الوصول إلى معلومات عنها »[36]. وليس يخفى أن إنجازات عظيمة وثمينة جداً يزخر بها التاريخ الثقافي الجزائري في محطاته المُشرقة والمُشرفة،أغفلها الباحثون، ولم يتم الحديث عنها على الرغم من إشراقها، ففي الجانب الأدبي على سبيل المثال لا الحصر نجد حقيقة تقتضي منا الوقوف عليها،وهي أن الأدب الجزائري التليد لم ينل حظاً وافراً من العناية ،ولعل أحداً لا يحتاج إلى كبير عناء لكي يدرك هذا الأمر، فالملاحظة التي يخرج بها كثير من المهتمين بقضايا الأدب الجزائري القديم، هي أنه لقي صدوداً ،وإعراضاً من قبل جملة من مؤرخي الأدب،وهذا ما عبر عنه الباحث رابح بونار في مقدمة كتابه:«المغرب العربي:تاريخه وثقافته»، بقوله: «إن الباعث الحقيقي على تأليف هذا الكتاب هو إيفاء الحركة الثقافية، وتاريخها بالقطر الأول(الجزائر)، وقد أغفله مؤرخو الآداب إغفالاً، وجهل كثير من الدارسين نشاط علمائه،وأدبائه في مختلف العصور» [37]. ويؤكد الشيخ العلاّمة عثمان الكعاك هذه الملاحظة في كتاب: «بلاغة العرب في الجزائر»، حيث يذهب إلى التأكيد على أن العلماء قد اعتنوا بالتنقيب عن آداب اللغة العربية، وتاريخها، وتطوراتها في مختلف الأصقاع الإسلامية، إلا الجزائر ،فإنهم أغفلوها، ولو سألت أحدهم أن يسمي لك أديباً جزائرياً لعجز عن ذلك ، مع أن الجزائر قد أخرجت من الأدباء،وعُشاق البلاغة، ورسل الفصاحة، والبيان ما يكون لها به الفخر،وما تسمو به مرتبتها في تاريخ الأدب العربي العام.

الهوامش والمراجع:

(1)مجدي وهبة وكامل المهندس:معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب،مكتبة لبنان،بيروت،ط:02، 1998م،ص:396.

(2)د.محمد التونجي:المعجم المفصل في الأدب،دار الكتب العلمية،ج:02،ط:01، 1993م، بيروت، لبنان،ص:836.

(3)د.صالح بلعيد:معجم المبرق:دراسة وصفية تحليلية،مجلة اللغة العربية،مجلة نصف سنوية محكمة تعنى بالقضايا الثقافية والعلمية للّغة العربية يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر،العدد:14، 2005م،ص:304.

(4)د.علي القاسمي:التصنيف النوعي للمعاجم العربية التراثية لدى الشرقاوي إقبال،دراسة منشورة ضمن أعمال ندوة: أحمد الشرقاوي إقبال العالم والإنسان، سلسلة ندوات ومناظرات رقم:1،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية

بمراكش،جامعة القاضي عياض،المملكة المغربية،ط:01، 2004م،ص:97.

(5)د.عباس أرحيلة:مع كتاب للشرقاوي لم ير النور: درجات العقل ودركاته في المعجم العربي،دراسة منشورة ضمن أعمال ندوة: أحمد الشرقاوي إقبال العالم والإنسان، سلسلة ندوات ومناظرات رقم:1،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش،جامعة القاضي عياض،المملكة المغربية،ط:01، 2004م،ص:124.

(6)د. عبد الرحمن الحاج صالح : مشروع الذخيرة اللغوية العربية وأبعاده العلمية والتطبيقية،دراسة منشورة في مجلة الآداب،مجلة أدبية فكرية تصدر عن معهد الآداب واللغة العربية،جامعة قسنطينة،الجزائر ،العدد:03،السنة:1417ه/1996م،ص:6.

(7)للتوسع ينظر: د.أبو القاسم سعد الله:أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،الجزء الرابع،منشورات مؤسسة دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر،2007م،ص:7.

(8)د.ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر- الفترة الحديثة والمعاصرة-،ج:02،منشورات المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1988م،ص:20 وما بعدها.

(9)د.نبيل علي: صناعة المحتوى الثقافي العربي:أهميتها وتحدياتها، مجلة العربي،مجلة ثقافية شهرية تصدرها وزارة الإعلام بدولة الكويت،العدد:625،المحرم1432ه/ديسمبر(كانون الأول)2010م،ص:16.

(10)د.نبيل علي: صناعة المحتوى الثقافي العربي:أهميتها وتحدياتها،المرجع السابق،ص:16.

(11)د. جاسم محمد جندل: موسوعة الطفل،منشورات دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط: 01 ،2011م،ص:3.

(12)د.حسن شحاتة: أدب الطفل العربي:دراسات وبحوث، منشورات الدار المصرية اللبنانية،بيروت،القاهرة،ط:02، سنة:1414ه/1994م،ص:13 وما بعدها.

(13)عادل أبو شنب:أدب الأطفال في سوريا، مجلة الثقافة الجزائرية،السنة الخامسة، العدد:27،جمادى الأولى- الثانية1395ه-جوان –جويلية1975م،ص:113 .

(14)أحمد عبده عوض: أدب الطفل العربي –رؤى جديدة وصيغ بديلة- ، منشورات دار الشامي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،مصر،2000م،ص:151 وما بعدها.

(15)د.أحمد زياد محبك:الحاسوب وتنمية المقدرة اللغوية عند الطفل، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية،العدد :07،جمادى الثاني1429ه-جوان2008م،ص:57.

(16)د.صالح فركوس:تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي إلى غاية الاستقلال(814ق.م-1962م)،الجزء الأول،منشورات دار أيدكوم للنشر والتوزيع،قسنطينة،الجزائر،2013م،ص:5.

(17)د.صالح فركوس:تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي إلى غاية الاستقلال(814ق.م-1962م)،الجزء الأول،ص:6.

(18)اعتمدتُ في صياغة هذه التعريفات على عدة مراجع: د.محمد بن عبد الكريم الجزائري : الثقافة ومآسي رجالها، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر (د.ت)، ص : 9 وما بعدها.و ابن منظور : لسان العرب، مادة : ثقف.و التوحيدي : المقابسات، مطبعة الرحمانية، القاهرة، 1929 م،ص:375.و ابن خلدون : المقدمة، منشورات مكتبة المدرسة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1967 م،ص: 448.

(19) اعتمدنا في صياغة هذه التحديدات المصطلحية على عدة مراجع متنوعة منها: أحمد مسجد جامعي:كلمة افتتاحية لكتاب محاضرات في حوار الحضارات ،منشورات المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق،1421ه/2001م،ص:9.و د.محمد بن عبد الكريم : الثقافة ومآسي رجالها، ص : 38. و د.سعد بوفلاقة:حوار الثقافات في الغرب الإسلامي،مجلة دراسات،مجلة دورية محكمة تصدر عن جامعة الأغواط،الجزائر،العدد:02،جوان2005م،ص:114-115.و د.عبد النبي اصطيف:حوار الحضارات في عصر العولمة،بحث منشور في كتاب محاضرات في حوار الحضارات،ج:01،ص:323 وما بعدها.

(20)د.صالح فركوس:تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي إلى غاية الاستقلال(814ق.م-1962م)،الجزء الأول،ص:09.

(21) اعتمدت في صياغة هذه الفقرة على مقال الباحث جمعة شيخة:الأندلس من خلال رواية: (مدينة بلا يوم) لمحمد سعد برغل، مجلة دراسات أندلسية، مجلة علميّة مُحكّمة في الدّراسات المتعلقة بإسبانيا الإسلاميّة،تونس، العدد المزدوج:47-48،محرم1434ه/ديسمبر2012م،ص:15.

(22)مجدي وهبة وكامل المهندس:معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب،ص:82.

(23) د.مختار حساني:موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية،ج:02، مدن الجنوب،منشورات دار الحكمة في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية،2007م،ص:9.

(24) د.عبد العزيز فيلالي ومحمد الهادي لعروق:مدينة قسنطينة-دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية-،منشورات دار البعث للطباعة والنشر،قسنطينة،الجزائر،ط:1،1404 هـ-1984م،ص:10.

(25)الحاج أحمد المبارك:تاريخ حاضرة قسنطينة،اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه:نور الدين عبد القادر،الجزائر،1952م،ص:3،نقلاً عن:د.عبد الله حمادي:نفاضة الجراب-تأملات في الأدب والسياسة-،منشورات ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،2008م،ص:207.

(26)د.عبد الله حمادي: نفاضة الجراب-تأملات في الأدب والسياسة-،منشورات ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،2008م،ص:207.

(27)الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر،شرح وتعليق:د.ممدوح حقي،منشورات دار اليقظة العربية،بيروت،لبنان،ط:3 ،1964م،ص:120.

(28)مصطفى يعلى: نحو تأصيل الدراسة الأدبية الشعبية في المغرب، نموذج(من وحي التراث)، دراسة منشورة ضمن كتاب: الأدب المغربي:إشكالات وتجليات(دراسات مهداة للأستاذ عباس الجراري)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط،جامعة محمد الخامس، المملكة المغربية،1427هـ/2006م،ص:157.

(29)رابح العوبي:أنواع النثر الشعبي، منشورات مديرية النشر في جامعة باجي مختار بعنابة،الجزائر،د،ت،ص: 7 وما بعدها.

(30)مسعود جعكور:حكم وأمثال شعبية جزائرية، منشورات دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة،الجزائر،ط:01، 2008م،ص:3-4.

(31)د.محمد عيلان:التراث الشعبي الجزائري-دراسات وبحوث ميدانية-، منشورات وزارة الثقافة الجزائرية بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر،ط:01، 2007م،ص:5.

(32)د.سعد العبد الله الصويان:جمع المأثورات الشفهية، منشورات دار الأنساق للنشر والتوزيع،ط:02،الرياض،المملكة العربية السعودية،2008م،ص:9 و15.

(33)د.عمر عبد الرحمن الساريسي:موسوعة الفولكلور الفلسطيني،مجلة التراث الشعبي،مجلة فصلية تصدرها وزارة الثقافة والفنون بالعراق،دار الجاحظ للنشر،بغداد،العدد:8،السنة التاسعة1978م،ص:201.

(34)د.محمد عيلان:التراث الشعبي الجزائري-دراسات وبحوث ميدانية-، ص:15 و18.

(35) المرجع نفسه، ص:19.

(36)المرجع نفسه، ص:21.

(37)رابح بونار: المغرب العربي:تاريخه وثقافته ،منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981م،ص:05.